

## سورة التين مكية

وآياتها ثمان

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا  
الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ » فقال بعضهم : عني بالتين : التين الذي  
يؤكل ، والزيتون : الزيتون الذي يعصر .

وقال آخرون : التين : مسجد دمشق ، والزيتون : بيت المقدس .

وقال آخرون : التين : مسجد نوح ، والزيتون : مسجد بيت المقدس .

والصواب من القول في ذلك عندنا : قول من قال : التين : هو التين الذي يؤكل ، والزيتون : هو  
الزيتون الذي يعصر منه الزيت ، لأن ذلك هو المعروف عند العرب ، ولا يعرف جبل يسمى تيناً ، ولا جبل  
يقال له زيتون ، إلا أن يقول قائل : أقسم ربنا جل ثناؤه بالتين والزيتون . والمراد من الكلام : القسم  
بمنابت التين ، ومنابت الزيتون ، فيكون ذلك مذهباً ، وإن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك ، دلالة في  
ظاهر التنزيل ، ولا من قول من لا يجوز خلافه ، لأن دمشق بها منابت التين ، وبيت المقدس منابت  
الزيتون .

وقوله : « وَطُورِ سِينِينَ » اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : هو جبل موسى بن عمران  
صلوات الله وسلامه عليه ومسجده .

وقال آخرون : الطور : هو كل جبل يثبت . وقوله « سِينِينَ » : حسن .

وقال آخرون : هو الجبل ، وقالوا : سِينِينَ : مبارك حسن .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: طور سينين: جبل معروف، لأن الطور هو الجبل ذو النبات، وإضافته إلى سينين تعريف له، ولو كان نعتاً للطور، كما قال من قال معناه حسن أو مبارك، لكان الطور منوناً، وذلك أن الشيء لا يضاف إلى نعتيه، لغير علة تدعو إلى ذلك.

وقوله: « وهذا البلد الأمين » يقول: وهذا البلد الأمين من أعدائه أن يجاربوا أهله، أو يغزوهم.

وقيل: الأمين، ومعناه: الأمين، كما قال الشاعر:

أَلَمْ تَعَلِّمِي يَا أَسْمَ وَيْحَكَ أَنَّنِي \* حَلَفْتُ يَمِينًا لَا أَخُونُ أَمِينِي

يريد: آمني، وهذا كما قال جل ثناؤه: « أولم يروا أننا جعلنا حراماً آمناً ويخطف الناس من حولهم ». وإنما عني بقوله: « وهذا البلد الأمين »: مكة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وقوله: « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » وهذا جواب القسم، يقول تعالى ذكره: والذين والزيتون، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » فقال بعضهم: معناه: في أعدل خلق، وأحسن صورة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لقد خلقنا الإنسان، فبلغنا به استواءً شبابه وجلده وقوته، وهو أحسن ما يكون، وأعدل ما يكون وأقومه.

وقال آخرون: قيل ذلك لأنه ليس شيء من الحيوان إلا وهو منكب على وجهه غير الإنسان.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن معنى ذلك: لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدلها؛ لأن قوله: « أحسن تقويم » إنما هو نعت لمحدوف، وهو في تقويم أحسن تقويم، فكأنه قيل: لقد خلقناه في تقويم أحسن تقويم.

وقوله: « ثم رددناه أسفل سافلين » اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ثم رددناه إلى أرذل العمر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم رددناه إلى النار في أقبح صورة.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة، وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: معناه: ثم رددناه إلى أرذل العمر، إلى عمر الخرفى، الذين ذهب عقولهم من الهرم والكبر، فهو في أسفل من سفلى: في إدبار العمر وذهاب العقل. وإنما قلنا: هذا القول أولى بالصواب في ذلك: لأن الله تعالى ذكره، أخبر عن خلقه ابن آدم، وتصريفه في الأحوال، احتجاجاً بذلك على منكري قدرته على البعث بعد الموت. ألا ترى أنه

يقول: « فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ » يعني: بعد هذه الحجة . ومُحالٌ أن يجتجَّ على قوم كانوا منكرين معنى من المعاني ، بما كانوا له منكرين . وإنما الحجة على كلِّ قوم بما لا يقدرُونَ على دَفْعِهِ ، مما يُعابِنُونَهُ وَيُجَسِّسُونَهُ ، أو يُقِرُّونَ به ، وإن لم يكونوا له مُجَسِّسِينَ . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان القوم للنار التي كان الله يتوعدهم بها في الآخرة منكرين ، وكانوا لأهل الهرم والخرف من بعد الشباب والجلد شاهدين ، علِمَ أنه إنما احتج عليهم بما كانوا له مُعابِنِينَ ، من تصريفه خلقه ، ونقله إليهم من حال التقويم الحسن والشباب والجلد ، إلى الهرم والضعف وفناء العمر ، وحدوث الخرف .

وقوله: « إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » اختلف أهل التأويل في معنى هذا الاستثناء ، فقال بعضهم : هو استثناء صحيح من قوله « ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ » قالوا : وإنما جاز استثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وهم جمع ، من الهاء في قوله « ثُمَّ رَدَدْنَاهُ » وهي كناية الإنسان ، والإنسان في لفظ واحد ، لأن الإنسان وإن كان في لفظ واحد ، فإنه في معنى الجمع ، لأنه بمعنى الجنس ، كما قيل : « وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ » قالوا : وكذلك جاز أن يُقال : « ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ » فيُضَافُ أفعَلَ إلى جماعة ، وقالوا : ولو كان مقصوداً به فصد واحد بعينه ، لم يجز ذلك ، كما لا يُقال : هذا أفضل قائمين ، ولكن يُقال : هذا أفضل قائم .

وقال آخرون : بل الذين آمنوا وعملوا الصالحات قد يدخلون في الذين رُدُّوا إلى أسفل سافلين ، لأنَّ أرذلَ العمر قد يردُّ إليه المؤمن والكافر . قالوا : وإنما استثنى قوله : « إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » من معنى مُضمَر في قوله : « ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ » قالوا : ومعناه : ثم رددناه أسفل سافلين ، فذهبت عقولهم وخرفوا ، وانقطع أعمالهم ، فلم تثبت لهم بعد ذلك حسنة . « إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » فإن الذي كانوا يعملونه من الخير ، في حال صحة عقولهم ، وسلامة أبدانهم ، جار لهم بعد هَرَمِهِمْ وَخَرَفِهِمْ .

وقد يُحتمل أن يكون قوله : « إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » استثناءً منقطعاً ، لأنه يُحسَنُ أن يُقال : ثم رددناه أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، لهم أجر غير ممنون ، بعد أن يردَّ أسفل سافلين .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس « إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ » قال : فأما رجل كان يعمل عملاً صالحاً وهو قوي شاب ، فعجز عنه ، جرى له أجر ذلك العمل حتى يموت .

وقال آخرون: بل معنى ذلك: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» فَإِنَّهُ يُكْتَبُ لَهُمْ حَسَنَاتُهُمْ وَيَتَجَاوَزُ لَهُمْ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عاصم، عن أبي رزين عن ابن عباس «ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» قال: هُمُ الَّذِينَ أُدْرِكُهُمُ الْكِبَرُ، لَا يُؤَاخِذُونَ بِعَمَلِ عَمَلُوهُ فِي كِبَرِهِمْ، وَهُمْ هَرَمَى لَا يَعْقِلُونَ<sup>1</sup> .

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ فِي جَهَنَّمَ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ، فعلى هذا التأويل: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مُسْتَثْنَوْنَ مِنَ الْهَاءِ فِي قَوْلِهِ: «ثُمَّ رَدَدْنَاهُ»، وَجَازَ اسْتِثْنَاؤُهُمْ مِنْهَا إِذْ كَانَتْ كِنَايَةً لِلْإِنْسَانِ، وَهُوَ بِمَعْنَى الْجَمْعِ، كَمَا قَالَ: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» .

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصحة، قول مَنْ قَالَ: معناه: ثم رددناه إلى أرذل العمر، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي حَالِ صِحَّتِهِمْ وَشَبَابِهِمْ، فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ بَعْدَ هَرَمِهِمْ، كَهَيْئَةِ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فِي حَالِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَهُمْ أَقْوِيَاءُ عَلَى الْعَمَلِ . وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَى بِالصَّحَّةِ لِمَا وَصَفْنَا مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى صِحَّةِ الْقَوْلِ بِأَنَّ تَأْوِيلَ قَوْلِهِ: «ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ» إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ . «فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» اِخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: «غَيْرُ مَمْنُونٍ» فَقَالَ بَعْضُهُمْ: معناه: لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَنقوصٍ .

وقال آخرون: بل معناه: غير محسوبٍ .

وقد قيل: إِنَّ معنى ذلك: فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَقْطُوعٍ . وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَنقوصٍ، كَمَا كَانَ لَهُ أَيَّامَ صِحَّتِهِ وَشَبَابِهِ، وَهُوَ عِنْدِي مِنْ قَوْلِهِمْ: جَبَلٌ مَنِينٌ: إِذَا كَانَ ضَعِيفًا؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَعْطُوا هَنِينَةً يَحْدُوهَا تَمَانِيَةٌ \* مَا فِي عَطَائِهِمْ مِنْ وَلَا سَرَفٌ

يعني: أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ نَقْصٌ، وَلَا خَطَأٌ .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

<sup>1</sup> أخرجه البيهقي في كتاب الزهد الكبير (٦٣٨) .

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: «فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ» فقال بعضهم معناه: فَمَنْ يُكَذِّبُكَ يَا مُحَمَّدٌ بَعْدَ هَذِهِ الْحُجَجِ الَّتِي احْتَجَجْنَا بِهَا، بِالدِّينِ، يَعْنِي: بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَمَا بَعَثَكَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ؟ قَالُوا: «مَا» فِي مَعْنَى «مِنْ»، لِأَنَّهُ عُنِيَ بِهِ ابْنُ آدَمَ، وَمَنْ بُعِثَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فما يُكَذِّبُكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بَعْدَ هَذِهِ الْحُجَجِ بِالدِّينِ.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد «فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالدِّينِ» أَعْنِي بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ! إِنَّمَا عُنِيَ بِهِ الْإِنْسَانُ. وقال آخرون: إِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقِيلَ لَهُ: اسْتَيْقِنُ مَعَ مَا جَاءَكَ مِنَ اللَّهِ مِنَ الْبَيَانِ، أَنَّ اللَّهَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول مَنْ قَالَ: مَعْنَى «مَا» مَعْنَى «مَنْ». وَوَجْهُ تَأْوِيلِ الْكَلَامِ إِلَى: فَمَنْ يُكَذِّبُكَ يَا مُحَمَّدٌ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ مِنَ اللَّهِ بِالدِّينِ؟ يَعْنِي: بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَمُجَازَاتِهِ الْعِبَادَةَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

وقد تأول ذلك بعض أهل العربية بمعنى: فما الذي يُكَذِّبُكَ بَأَنَّ النَّاسَ يُدَانُونَ بِأَعْمَالِهِمْ؟ وَكَأَنَّهُ قَالَ: فَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى تَكْذِيبِكَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، بَعْدَمَا تَبَيَّنَ لَهُ خَلْقُنَا الْإِنْسَانَ عَلَى مَا وَصَفْنَا. واختلفوا في معنى قوله: «بِالدِّينِ» فقال بعضهم: بِالْحِسَابِ.

وقال آخرون: معناه: بِحُكْمِ اللَّهِ

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مَنْ قَالَ: الدِّينُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْجِزَاءُ وَالْحِسَابُ، وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَ مَعَانِي الدِّينِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْجِزَاءُ وَالْحِسَابُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: كَمَا تَدِينُ تُدَانُ. وَلَا أَعْرِفُ مِنْ مَعَانِي الدِّينِ «الْحُكْمَ» فِي كَلَامِهِمْ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِذَلِكَ: فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِأَمْرِ اللَّهِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ عَلَيْكَ أَنْ تُطِيعَهُ فِيهِ؟ فَيَكُونُ ذَلِكَ.

وقوله: «أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ» يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدٌ بِأَحْكَمَ مَنْ حَكَمَ فِي أَحْكَامِهِ، وَفَصَّلَ قَضَائِهِ بَيْنَ عِبَادِهِ؟ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَرَأَ ذَلِكَ فِيمَا بَلَّغْنَا قَالَ: بلى.

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، قال : كان ابن عباس إذا قرأ : « أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ » قَالَ : « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ، وَبَلَى » <sup>٢</sup> .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : كان قتادة إذا تلا : « أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ » قَالَ : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين ، أَحْسَبُهُ كَانَ يَرَفَعُ ذَلِكَ ؛ وَإِذَا قرأ : « أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى » قَالَ : بلى ، وإذا تلا : « فَبَأْيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ » قَالَ : آمنتُ بالله ، وبما أنزل <sup>٣</sup> .

### آخر تفسير سورة والتين

<sup>2</sup> أخرجه الحاكم في مستدرکه (٣٨٢) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

<sup>3</sup> أخرج الترمذي في سننه (٣٣٤٧) نحوه مرفوعاً ؛ والنسائي في السنن الصغرى (٤٣٨) ؛ والبيهقي في الكبرى (٣٥٠٨) ؛ وأبو داود (٨٧) ؛ وأحمد (٧٣٨٥) ؛ والحميلي في مسنده (٩٩٥) وغيرهم ، ومدار الحديث عندهم على إسماعيل بن أمية عن أعرابي من أهل البادية لم يسمه إسماعيل بن أمية عن أبي هريرة مرفوعاً .